الإفتراضات في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

Assumptions in the Holy Quran - An Objective Study

أ. م. د. أحمد طايس حسن

Asst. Prof. Dr. Ahmed Taies Hassan

كلية الإمام الأعظم ﵀ الجامعة

Al-Imam Al-Adham University College

ahmedtayes8@imamaladham.edu.iq

07711260320

الملخص

فقد ورد في القرآن الكريم بعض الافتراضات المختلفة، التي تباينت في نتائجها سلباً وإيجاباً، كما اختلف شخصية المفترضين، فقد صدرت الفرضيات من الصالحين ومن غيرهم.

وهذا الموضوع الموسوم (الافتراضات في القرآن الكريم- دراسة موضوعية) يسلط الضوء على نمط من التفكير الاستباقي أو المستقبلي معبراً عنه بالفرضيات.

والموضوع واسع ومتشعب، وإنما قصدت منه التنويه إلى بعض ما في القرآن الكريم من موضوعات تصلح للتوسع فيها، لذلك اقتصرت على ذكر ثلاثة شواهد في كل موضوع، وآمل أن يجد الموضوع صدىً من باحثين آخرين للتوسع فيه.

وأهمية الفرضيات لا تكاد تخفى على المثقفين، فهي ترسم التصورات المستقبلية، وأن نجاحها يعد عاملاً مهماً من عوامل التخطيط المستقبلي، وهو يدخل ضمن دائرة التخطيط الذي يعد صناعة المستقبل.

واعتمدت المنهج التحليلي لاستخلاص المعاني المرتبطة بالافتراضات، وهي من فهم الباحث للآيات القرآنية في ضوء أقوال المفسرين ومناهجهم، لخلو كتب التفسير والكتب المرتبطة بها من هذه المباحث.

الكلمات المفتاحية: الافتراضات، الإيجابية، السلبية، القرآن الكريم، الاحتمالية.

Abstract:

The Holy Quran contains some different assumptions, which varied in their results, both positively and negatively, and the personality of those who made the assumptions differed, as the assumptions were issued by the righteous and others.

This topic, entitled (Assumptions in the Holy Quran – An Objective Study), sheds light on a pattern of proactive or future thinking expressed through assumptions.

The topic is broad and complex, but I intended to point out some of the topics in the Holy Quran that are suitable for expansion, so I limited myself to mentioning three evidences in each topic. And I hope that the topic will find an echo from other researchers to expand it.

The importance of assumptions is hardly hidden from intellectuals, as they draw future visions, and their success is an important factor in future planning, and it falls within the circle of planning, which is the making of the future.

I adopted the analytical approach to extract the meanings associated with the assumptions, which are from the researcher's understanding of the Quranic verses in light of the statements and approaches of the interpreters, as the books of interpretation and the books related to them are devoid of these topics.

Key words: Assumptions, Positive and Negative assumptions, Holly Quran, Probability

الْمُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولي الألباب، وجعله أجلَّ الكتب قدراً، وأغزرها علماً، وأعذبها نظماً، وأبلغها في الخطاب، قرآناً عربياً غير ذي عوج، لا مخلوقاً ولا شبهة فيه ولا ارتياباً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب الأرباب الذي عنت لقيوميته الوجوه، وخضعت لعظمته الرقاب.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث من أكرم الشعوب، وأشرف الشعاب إلى خير أمةٍ بأفضل كتاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب.

أما بعد؛

فقد ورد في القرآن الكريم بعض الافتراضات المختلفة، التي تباينت في نتائجها سلباً وإيجاباً، كما اختلف شخصية المفترضين، فقد صدرت الفرضيات من الصالحين ومن غيرهم.

وهذا الموضوع الموسوم (**الافتراضات في القرآن الكريم- دراسة موضوعية**) يسلط الضوء على نمط من التفكير الاستباقي أو المستقبلي معبراً عنه بالفرضيات.

والموضوع واسع ومتشعب، وإنما قصدت منه التنويه إلى بعض ما في القرآن الكريم من موضوعات تصلح للتوسع فيها، لذلك اقتصرت على ذكر ثلاثة شواهد في كل موضوع، وآمل أن يجد الموضوع صدىً من باحثين آخرين للتوسع فيه.

وأهمية الفرضيات لا تكاد تخفى على المثقفين، فهي ترسم التصورات المستقبلية، وأن نجاحها يعد عاملاً مهماً من عوامل التخطيط المستقبلي، وهو يدخل ضمن دائرة التخطيط الذي يعد صناعة المستقبل.

واعتمدت المنهج التحليلي لاستخلاص المعاني المرتبطة بالافتراضات، وهي من فهم الباحث للآيات القرآنية في ضوء أقوال المفسرين ومناهجهم، لخلو كتب التفسير والكتب المرتبطة بها من هذه المباحث.

وقد اقتضت مستلزمات البحث أن أقسمه بعد هذه المقدمة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الافتراضات.

المبحث الثاني: الافتراضات الإيجابية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الافتراضات السلبية في القرآن الكريم.

ثم الخاتمة.

وقائمة المصادر والمراجع.

اسأل الله تعالى أن يتجاوز عن سيئاتنا إنه الغفور الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
تعريف الافتراضات

أولاً: الافتراضات لغة:

أصل الافتراضات من الفرض: « فرَضْت الشَّيْءَ أَفْرِضه فَرْضاً وفَرَّضْتُه لِلتَّكْثِيرِ: أَوْجَبْتُه... وافْتَرَضَه: كفَرَضَه، وَالِاسْمُ الفَرِيضةُ. وفَرائضُ اللهِ: حُدودُه الَّتِي أَمرَ بِهَا ونهَى عَنْهَا، وَكَذَلِكَ الفَرائضُ بالمِيراثِ.... والفَرْضُ: مَا أَوْجَبه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ لَهُ مَعالِمَ وَحُدُوداً. وفرَض اللَّهُ عَلَيْنَا كَذَا وَكَذَا وافْتَرَضَ أَي أَوْجَب... الفَرْضُ التوْقِيتُ. وكلُّ واجِبٍ مؤقَّتٍ، فَهُوَ مَفْرُوضٌ... وأَصلُ الْفَرْضِ القطْعُ... والفَرْضُ: الهِبةُ ، يُقَالُ: مَا أَعطاني فَرْضاً وَلَا قَرْضاً... والفرْضُ: مَصْدَرُ كُلِّ شَيْءٍ تَفْرِضُه فتُوجِبه عَلَى إِنسان بقَدْر مَعْلُومٍ، وَالِاسْمُ الفَرِيضةُ»[1].

والمعنى اللغوي للفرض في الاصطلاح الحديث: «فكرة يؤخذ بها في البرهنة على قضية، أو حل مسألة»[2].

ثانيًا: الافتراضات اصطلاحاً:

يختلف مفهوم الافتراضات باختلاف العلوم التي تتناوله، فالافتراضات النحوية ليست تلك التي الرياضيات، أو القانون أو في الاقتصاد، فالفرض من الوجهة المنطقية «قضية أو فكرة توضع، ثم يتحقق من صدقها أو خطئها عن طريق الملاحظة والتجربة»[3].

والفرض على نوعين: «أحدهما انتزاعي وهو إخراج ما هو موجود بالشيء بالقوة إلى الفعل ولا يكون الواقع مخالفاً للمفروض... وثانيهما اختراعي وهو اختراع ما ليس بموجود في الشيء بالقوة أصلاً، ويكون الواقع مخالفاً للمفروض»[4].

---

(١) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م: مادة (فرض) ٢٠٢/٧- ٢٠٣.

(٢) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م: (فرض) ٤٦٧.

(٣) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، مصر، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: ١٣٥.

(٤) دستور العلماء- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدنكري (ت بعد ١١٧٣هـ) عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-

ويمكن «إطلاق اصطلاح الفرضيات على المظنونات، وهي آراء يقع بها لا على الثبوت، بل يخطر إمكان نقيضها بالبال، ولكن الذهن يكون إليها أميل، ويمكن القول في ذلك قولا عاماً، وهو أن الفرضيّات مقدمات ليست بيّنة بنفسها، ولكن العالم يراود نفسه على التسليم بها، حتى إذا تبيّن صدقها في العلم الذي يتناوله، أو في علم آخر غيره، صارت حقيقة بينة»(١).

ومن هنا فالافتراض «هو مجرد ظن باحتمال وقوع الشيء، وكل فرض فهو ينطوي على تجويز، ولا يكون هذا التجويز باطلاً إلا إذا كذبته التجربة، أو أثبت العقل تناقضه»(٢).

فالافتراضات أمر احتمالي، إلا أنه يرتبط بالواقع من حيث خضوعه لمبدأ الفحص والتجربة، الذي يعد الركن الأساس في العلوم التجريبية؛ لذلك فإن «الأصل في القضية التي تعدها فرضية هو أن تكون حالة الصدق فيها مشكوكاً فيها، وغير محددة، فهي عرضة لأن تكون كاذبة في حالة استنتاج قضية منها تؤيدها التجربة، فالفرضية قضية نفترضها من دون أن نعرف ما يترتب عليها من نتائج، فهي أساس نستند إليه في الاستنتاج من دون أن نفترض أنها يقينية أو صادقة دائماً، وان الريب، أو الشك في صدقها أمر ملازم لها» (٣).

وخصائص الافتراضات تتبين فيما يأتي(٤):

١. الفرضية قول أو صيغة عامة يطرحها الباحث تحقيقاً لمبدأ الاقتصاد في الفكر، فالفرضية صيغة موجزة تعبر عن كثرة وتنوع.

٢. ليس من الضرورة أن تكون الفرضية تعميماً استقرائياً دائماً، فهي في بعض الأحول ليست صيغة يمكن أن التثبت منها مباشرة بالطرق التجريبية.

٢٠٠٠م: ١٥/٣؛ كشاف اصطلاحات الفنون، محمد أعلى بن علي الفاروقي التهانوي (توفي بعد سنة ١١٥٨هـ)، تحقيق الدكتور علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة الدكتور رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية الدكتور عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية الدكتور جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م: ١٢٦٨/٢.

(١) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صلبيا (ت١٩٧٦م)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م: ١٤٤/٢.

(٢) المرجع نفسه: ١٤٣/٢.

(٣) منطق البحث العلمي- تحليل منطقي لأصول الفكر العلمي والطرق العلمية في ضوء النظريات المعاصرة، د. ياسين خليل، دار الحرية، بغداد، ط١، ١٩٧٤م: ١٩٢.

(٤) المرجع نفسه: ١٩٦- ١٩٧.

٣. يعتمد اختبار الفرضية على ما نشتق منها، ومقارنة ذلك بالواقع، وهذا معناه أن التثبت منها يبقى جزئياً دائماً، ولا يمكن البرهنة على صدقها التجريبي بصورة كاملة وقطعية.

٤. يعد طرح الفرضية في العلم من الأمور الضرورية، فهي من ناحية تزود الباحث بالتعليل العلمي عندما يكون لديه مجموعة من القوانين التجريبية، وهي من ناحية أخرى ذات كفاءة علمية بالتنبؤ بحوادث أو ظواهر في المستقبل عن طريق ما نشتق منها في قضايا.

المبحث الثاني
الافتراضات الإيجابية في القرآن الكريم

من المناسب الإشارة هنا إلى أنه لا يشترط في الافتراضات أن تكون إيجابية الثمرات والنتائج، كما لا يشترط التوافق بين الحقائق المتوقعة والواقعة، فنحن هنا أمام حالتين من حالات الافتراضات يمكن تسميتها الافتراضات الإيجابية، والافتراضات السلبية.

فالافتراضات الإيجابي: هو الذي تتوافق فيه الحقائق النظرية أو النتائج العملية مع الرؤى الافتراضية.

والافتراضات السلبي: هو الذي لا تتوافق فيه الحقائق النظرية أو النتائج العملية مع الرؤى الافتراضية.

في ضوء هذه النتائج ستكون دراستنا في المبحثين الثاني والثالث.

قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[1].

لقد مكث نوح (عليه السلام) في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2]،

فما استجابوا له، بل زادوا كفراً وطغياناً، ولم يتبعه من قومه إلا القليل، وقد توارث قومه الكفر والعناد، فافترض نوح (عليه السلام) أن بقاء هؤلاء مفسدة، وأنه لا أمل في استجابتهم لدعوته، وأنه وصل إلى طريق مسدود، وليست هناك أية تباشير تلوح في الأفق.

وأن « بقاؤهم مفسدة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح (عليه السلام) ذلك؛ لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب

(١) سورة نوح: الآيات ٢١- ٢٧.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٤.

دعوته، فأغرقهم أجمعين ونجى نوحاً ومن معه من المؤمنين «[1].

وهذه هي النتيجة التي توصل لها نوح (عليه السلام) وافترضها، بعد طول المدة التي مكثها في قومه، فوافق افتراضه المشيئة الإلهية ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[2].

وما يؤيد أن العذاب الذي حلَّ بقومه إنما كان نتيجة لافتراضه عدم إيمان قومه، الذي كلله بالدعاء عليهم، والذي بموجب حلت العقوبة الإلهية، قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ [3].

ومن الافتراضات الواردة في القرآن الكريم قصة يوسف (عليه السلام) التي ورد فيها عدة افتراضات، منها مع ملك مصر، إذ لما عبر يوسف (عليه السلام) رؤيا الملك، طلب منه أن يجعله على خزائن الأرض، فلم يكن طلبه هذا بعيداً عن الافتراضات المستقبلية، الذي نجح في تذليل الصعوبات المالية المحتملة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

لقد كان افتراض يوسف (عليه السلام) ضرب من ضروب التخطيط الاقتصادي الاستراتيجي، فهو قائم على معرفة وحسابات دقيقة لا على التخمين والتواكل[5].

والنظرة الافتراضية الأخرى ليوسف(عليه السلام) تمثلت في امتناعه عن الانسياق وراء شهوات امرأة العزيز، ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[6]، أي: إنه قال لها: إنه سيدي، يعني: زوجها أكرم منزلتي وإِنَّهُ لا يفوز الظالمون، أي: إن ظلمته في أهله[7]، فلا يليق بالعقل أن أجازيه

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٨٨٩.

(٢) سورة المؤمنون: من الآية ٢٧.

(٣) سورة القمر: الآيتان ١٠ - ١١.

(٤) سورة يوسف: الآية ٥٥.

(٥) ينظر: الدعاة والتخطيط، محمد عبد الله الخطيب، الدعاة والتخطيط، دار المنار الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م: ٧٠.

(٦) سورة يوسف: الآية ٢٣.

(٧) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت١٥٠هـ) تحقيق

على ذلك الإحسان بهذه الخيانة القبيحة؛ فإنه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الإحسان بالإساءة، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون أنفسهم، أو لأن عملهم يقتضي وضع الشيء في غير موضعه الصحيح(١).

وقدم يوسف (عليه السلام) « تعليلاً للامتناع ببعض الأسباب الخارجيةِ مما عسى يكون مؤثراً عندها، وداعياً لها إلى اعتباره بعد التنبيهِ على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سوّلتْه لها نفسُها»(٢).

إن مصداقية نظرة يوسف (عليه السلام) تمثلت في تأييد ربه له: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾(٣)، فقد قامت فرضيته على جانبين:

أحدهما: أخلاقي، ويتمثل في عدم الانسياق وراء شهوات المحرمة.

الآخر: اجتماعي، ويتمثل في مراعاة حرمة سيده صاحب القصر، وأن المروءة تقتضي عدم مجازاته على إحسانه بالإساءة.

وفي جواب يوسف (عليه السلام) «إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيزِ بألطف وجهٍ... وفيه تحذيرٌ لها من عقاب الله عز وجل... وفيه تحذير من عدم فلاح الظالمين تعليلٌ للامتناع المذكورِ غِبَّ تعليل، أي بعد تعليل، والفلاحُ الظفرُ أو البقاءُ في الخير»(٤).

وكذلك افتراضه إمكانية عودة إخوته إليه، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(٥)، عندما رأى يوسف

أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م: ٣٢٧/٢.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب المعروف ب-(التفسير الكبير)، وب-(تفسير الرازي)، أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي (ت٦٠٦هـ-)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط٣، ١٤٢٠هـ-: ٤٣٨/١٨.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ-)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: ٢٦٥/٤.

(٣) سورة يوسف: من الآية ٢٤.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٦٥/٤.

(٥) سورة يوسف: الآيات ٥٨ - ٦٢.

(عليه السلام) إخوته وضع خطة افتراضية لتحقيق أغراض معينة مركبة، تمثلت في جلب أخيه بنيامين إليه أولاً، واستدعاء أبيه وأهله اثنياً، وتأديب إخوته وتلقينهم درساً جزاء ما اقترفوه بحقه ثالثاً.

وأول بوادر الخطة بدأت بمنعهم من الكيل لبنيامين إلا أن يأت إخوته به، ثم أمر عماله أن يضعوا بضاعتهم في رحالهم، وقد عرف أن إخوته سيرجعون إليه، وهذا الغاية في الافتراضات، أي: الرؤية المستقبلية الواثقة التي تحقق أكلها.

وبعد رجوع إخوة يوسف إلى أبيهم، اتفقوا على أن يرجعوا إلى يوسف ثانية، قال تعالى﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ﴾[1].

وهذه الآيات تكشف نجاح فرضية يوسف (عليه السلام) في جلب أخيه إليه.

ثم انتقل يوسف (عليه السلام) إلى الجزء الثاني من فرضيته، إذ أنه بعد أن جهزهم بجهازهم جعل السقاية وهي الإناء الذي يشرب به الملك في رحل أخيه بنيامين، وبه كان يكال الطعام للناس، وقيل: كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب، ولعزة الطعام في تلك الأعوام قصر كيله على ذلك، واتهموهم بسرقة سقاية الملك[2]، وأعقب هذا كما هو معروف جلب أخيه، ثم استدعاء أبيه وأهله أجمعين.

فقد نجح يوسف (عليه السلام) في جميع افتراضاته سواء تلك التي سعى إلى تحقيقه فعلاً، أو تلك التي تمنى فعلها، كرغبته في أن يكون وزيراً للملك.

---

(١) سورة يوسف: الآيات ٦٩ - ٧٦.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٩٤/٤؛ روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي (ت١١٣٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، بلا تاريخ: ٢٩٩/٤؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م: ٢٤/٧.

وفي قصة يوسف افتراض آخر، ذلك لما طلب إخوة يوسف من أبيهم أن يسمح ليوسف باللعب معهم، ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَـٰفِلُونَ ﴾[1].

افترض إخوة يوسف أنهم بهذه الحيلة سينجحون في استدراج يوسف وأخذ موافقة يعقوب (عليهما السلام) على ذلك، وبعد أن تيسر لهم ذلك شرعوا في تنفيذ افتراضهم الناجح الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَـٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[2].

كما نجحوا في تمرير مخططهم على يعقوب (عليه السلام)، وإفلاتهم من العقوبة التي كان من المفترض أن تحل بهم ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[3].

وكذلك نجح افتراضهم أن يوسف (عليه السلام) سيلتقطه بعض السيارة، ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَـٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَـٰعِلِينَ ﴾[4].

وقد تحقق هذا كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَـٰبُشۡرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[5].

فالافتراضات هنا لم تكن جميعها لخدمة قضايا مشروعة أو لتحقيق نوايا حسنة، فقد تكون لتحقيق قضايا غير مشروعة أو لتحقيق نوايا سيئة، مثل افتراضات إخوة يوسف (عليه السلام)، فقد دخلوا على أبيهم من جانب تحقيق مصلحة يوسف، وأنه يجب أن يسافر ويلعب ويتمرن، وأنهم بهذا يقدمون نصيحة خالصة لأبيهم من أجل مصلحة يوسف، وقد تردد أبوهم معتذراً بأنهم في مشاغلهم قد يغفلون عنه فيناله شر، احتجوا عليه من ناحية عدم ثقته فيهم، وأنهم ليسوا علي مستوى المسؤولية، كيف وإن أكله الذئب وهم جماعة فهم لا خير فيهم ولا ثقة[6].

---

(١) سورة يوسف: الآيات ١١ - ١٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٥.

(٣) سورة يوسف: الآيات ١٦- ١٨.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠.

(٥) سورة يوسف: الآية ١٩.

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسين بن محمد القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)،

المبحث الثالث
الافتراضات السلبية في القرآن الكريم

وهي افتراضات فشلت في تحقيق غاياتها أو أن تلامس الواقع بنجاح، ومن شواهد هذه الافتراضات في القرآن الكريم:

افتراض آدم (عليه السلام) فهو من النوع السلبي، فقد أتت نتائجه خلاف توقعه، فكان افتراض سلبياً عكسياً، خلاف ما تمناه آدم (عليه السلام) وتوقعه، وقد ذكرت قصته في القرآن الكريم في عدد من المواضع، وهي تشير بمجموعها أنه الشيطان نجح في خداع آدم وحواء، بمزاعمه أنه سيدله على شجرة الخلود، وعلى ملك لا يبلى، كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1].

وفي موضع آخر من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[2].

لقد افترض آدم (عليه السلام) صدق كلام الشيطان، وهنا أتى بفعلين مخالفين لأي افتراض صحيح:

تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م: ٦٨/٤؛ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٢٢٧/١٢.

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٩ - ٢٣.

(٢) سورة طه: الآيات ١١٦ - ١٢١.

الأول: عدم الاستجابة للنهي الإلهي بعدم الأكل من الشجرة: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

الثاني: عدم التوقف عند حدود التحذير الإلهي بعدم طاعة الشيطان، كما بينه قوله تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2].

وهذا يبين أن الافتراضات السليمة لا بد أن تقوم على مقدمات سليمة، وأن العكس بالعكس، فقد صدق آدم دعوى الشيطان، بأن يكون هو وزوجه ملكين أو يكونا من الخالدين، فغلبت المطامع على التخطيط العقلاني الصحيح بالأكل من الشجرة الممنوعة.

ويزاد على هذه الفرضية السلبية أن آدم (عليه السلام) لم يعتمد المعلومات الصحيحة الموثوق به بعدم الأكل الشجرة، والانتهاء عن الاستجابة للشيطان، وهو الأمر الإلهي الصادق، وهذا خلل خطير.

كما أن آدم (عليه السلام) تناسى ما هو فيه من نعمة عظيمة، وظن خطأً أن هناك خيراً قد حجبه الله عنه وعن زوجه، كما أنه لم يرض بالواقع الرغيد، الذي هو فيه، وحلق بتصوراته في أجواء خيالية، لا تتوافق مع قدراته ولا مع واقعه.

وما يزيد الأمر حيرة أن آدم (عليه السلام) صدق مزاعم الشيطان، وهو لم يعرف حقيقته أو يعرف مصداقيته، ولم يسبق له أن تعامل معه، وفي أحسن الأحوال فأدم (عليه السلام) تعامل بحسن نية مع الشيطان، ووضع كامل ثقته في جانبه، فلا شك أن يؤل افتراضه إلى الفشل لعدم خضوع افتراضه إلى حسابات دقيقة أو صحيحة، بل غلب عليها الارتجال، والسذاجة والعفوية.

وحاول الرازي الإجابة عن هذا التناقض بقوله: « ثم إن آدم (عليه السلام) مع كمال عقله، وعلمه بأن الله تعالى مولاه وناصره ومربيه، أعلمه بأن إبليس عدوه حيث امتنع من السجود له، وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته، كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول إبليس، مع علمه بكمال عداوته له، وأعرض عن قول الله تعالى مع علمه بأنه هو الناصر والمربي؟ ومن تأمل في هذا الباب طال تعجبه، وعرف آخر الأمر أن هذه القصة كالتنبيه على أنه لا دافع

(١) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ٢٢.

لقضاء الله ولا مانع منه «[1].

أما أبو حيان، فقد قال: « ولما وسوس إليه ناداه باسمه ليكون أقبل عليه وأمكن للاستماع، ثم عرض عليه ما يلقى بقوله (هل أدلك) على سبيل الاستفهام الذي يشعر بالنصح، ويؤثر قبول من يخاطبه... وهو عرض فيه مناصحة، وكان آدم قد رغبه الله تعالى في دوام الراحة، وانتظام المعيشة بقوله: (فلا يخرجنكما) ، ورغبه إبليس في دوام الراحة بقوله (هل أدلك)، فجاءه إبليس من الجهة التي رغبه الله فيها «[2].

وعودة إلى قصة يوسف (عليه السلام) مرة أخرى، ففي افتراضات إخوته جانب سلبي، كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[3].

لقد افترض إخوة يوسف أمرين من أجل الخلاص من يوسف (عليه السلام):

الأول: قتل يوسف (عليه السلام).

الثاني: إلقاؤه في الجب.

فقد جرى خلاف في طريقة التخلص من يوسف (عليه السلام)، وقد آلت الأمور إلى الأخذ بالقول الثاني.

ومع أن كلا الافتراضين هو من النوع السلبي، لا بحسب النوايا، بل بفشل المفترضين في تحقيق نواياهم، فقد عجزوا عن كسب ود أبيهم، بل بالعكس، فقد وضعوا أنسفهم في دائرة الاتهام، ويؤدي هذا قول يعقوب (عليه السلام): ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ

(١) مفاتيح الغيب: ١٠٧/٢٢.

(٢) البحر المحيط، أبو عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان (ت٧٥٤هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ- : ٣٩١/٧.

(٣) سورة يوسف: الآيات ٨ - ١٠.

(٤) سورة يوسف: من الآية ١٨.

(٥) سورة يوسف: من الآية ٦٤.

أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

فهذه الأقوال تؤكد بما لا يقبل الشك أنهم صروا في دائرة الاتهام.

وهناك افتراض آخر لم يوافق النجاح، وهو افتراض يوسف (عليه السلام) كما قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[2].

فقد توقع يوسف (عليه السلام) أن يذكره السجين عند الملك، وأن هذا قد يكون سبباً في تخلصه من السجن.

قيل: «إن هذا كان غفلة منه (عليه السلام)، إذ اعتمد على الناجي من السجن ولم يعتمد على ربه، ولهذا أدبه ربه باللبث في السجن ليبلغ أقصى درجات الكمال، والأنبياء مؤاخذون بمثاقيل الذر لمكانتهم عند ربهم»[3].

ومع منطقية هذا القول ووجاهته، إلا أن الذي يبدو لي أن يوسف (عليه السلام) كان موفقاً في افتراضه لما يأتي من الأسباب:

١. إن يوسف (عليه السلام) لم ولن يخسر شيئاً في طلبه هذا، فإن تحقق افتراضه، فلله الحمد والمنة، وإن لم يتحقق فهو سوف لن يخسر شيئاً، وكما يقال: رب رمية من غير رامي.

٢. إن الساقي كان يتصف بمواصفات أهلته لأن يطلب منه يوسف (عليه السلام) هذا الطلب، لذلك لم يطلب من السجين الآخر أن يذكره، فطلبه لم يكن من قبيل صرخات الاستغاثة واليأس التي يتشبث بها السجناء.

٣. إن يوسف (عليه السلام) لم يطلب من السجين الآخر أن يذكره عند خروجه من السجن؛ لأنه كان واثقاً بصلبه، مما يؤكد أن تعبيره لرؤيا الرجلين لم يكن من قبيل التخمين والظنون، كما نفعل نحن في تعبير الرؤى التي تقص علينا، بل كان واثقاً كل الثقة بما يقول.

٤. إن الساقي ذكره فعلاً عند ربه، وإن تأخر سبع سنين.

إذن الخلل في افتراض يوسف (عليه السلام) هو تأخر الساقي سبع سنين، حتى رأى الملك الرؤيا، ولو لم يرها لما ذكره الساقي.

---

(١) سورة يوسف: من الآية ٨٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ٤٢.

(٣) ينظر: عرائس البيان في حقائق القرآن، أبو نصر محمد بن روزبهان البقلي الشيرازي (ت٦٠٦هـ)، مطبعة العزي، الهند، ١٣١٥هـ: ٤٢٥/١؛ روح المعاني: ٧٣/٧.

ومن الافتراضات التي أتت بنتائج سلبية، ما جاء على لسان بني إسرائيل:

إن اختلاق بني إسرائيل للأعذار أمر معروف جاء ذكره في القرآن الكريم كثيراً، ومما ارتبط بالافتراضات قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (١).

«والمعنى: هل قاربتم أن تقاتلوا؟ بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل (هل) مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير، وثبت أن المتوقع كائن له، وأنه صائب في توقعه»(٢).

«أي: هذه حال من يبادر إلى القتال؛ لأنه طالب ثار، وهو مترجٍ أن يكون له الظفر من الله تعالى؛ لأنهم علموا أن ما أصابهم إنما كان بذنوبهم فلما أقلعوا وتابوا، ورجعوا وأطاعوا الأنبياء قويت آمالهم بالنصر والظفر، وكان النبي قد ظن منهم الجبن والفشل في القتال، فلذلك استفهم، وليبين أن ما ظنه وتوقعه من ذلك يكون منهم، وكان كما توقع»(٣).

إن الرؤية الافتراضية لبني إسرائيل أرشدتهم إلى أن ما هم فيه من مشاكل وويلات لن يكشف من دون ملك يسوسهم، ويتولى أمورهم، ويقودهم في القتال، وقد وصفوا بالملأ، والملأ «سْموا بذلك لما أنهم يملئون العيونَ مهابةً والمجالسَ بهاءً أو لأنهم مليئون بما يبتغى منهم»(٤).

أي أن هذه التصريحات لم تأت من أناس سذج لا يعلمون ما يقولون، أو لا يعرفون عاقبة طلباتهم، فهي ليست دعاوى فارغة، كما هو المتوقع أو المفترض، إذ ينبغي أن يكون هذا الطلب قد جرى عن دراسة ودراية، وخبرة ومعرفة؛ ولكن الواقع أثبت خلاف ذلك.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٥٠٢/٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٥٧٠/٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ٧٧٦؛ إرشاد العقل السليم: ٢٣٩/١؛ تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م: ٣٧٦/٢.

وقد أكدوا لنبيهم أنهم سيقاتلون في سبيل الله، وزادوا على ذلك أنهم سيقاتلون من أجل ديارهم وأبنائهم، وهذان عاملان مضافان كفيلان بأن يقنعا الآخرين بصدق نواياهم.

«ولما كان هذا وصفهم اجتمع أهل الرأي فيهم ومن كبرائهم، وكانت الحماسة تدفعهم إلى القتال، فلما طلبوا من نبيهم القتال، قالوا في سبيل الله، وهذا التحديد منهم لطبيعة القتال، وأنه في سبيل الله يُظهر آنذاك بانتفاضة العقيدة في القلوب، ويقظة الإيمان في النفوس، وشعورهم بأنهم أهل دين وعقيدة وحق، وأن أعداءهم على ضلال وكفر وباطل»(١).

فلما أجيبوا إلى طلبهم بفرض القتال عليهم، أعرضوا عنه إلا قليلاً، «أي: لم يفوا بما وعدوا، بل نكل عن القتال أكثرهم»(٢)، «ثم إذا توفرت الشروط يضعفون ويجبنون، ويزعمون أنها غير كافية ليعذروا أنفسهم وما هم بمعذورين»(٣).

ولما كان هذا حالهم توعدهم الله والله ذو علم بمن ظلم منهم نفسه، فأخلف الله ما وعده من نفسه، وخالف أمر ربه فيما سأله ابتداء أن يوجبه عليه"(٤).

ولقد أطلق عليهم الظلم؛ لأنهم يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك الجهاد دفاعاً عنها وحفظاً لحقها، فهو يجزيهم وصفهم، فيكونون في الدنيا أذلاء مستضعفين وفي الآخرة أشقياء معذبين(٥). ومن هنا نرى أن بعض النظرات الافتراضية تحمل معها سر فشلها، لعدم قيامها على الصدق.

---

(١) ينظر: الرسول واليهود وجهاً لوجه، د. سعد المرصفي، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ١٣٨/١.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام، للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ- - ٢٠٠٣م: ٥٧٦/١.

(٣) ينظر: تفسير المنار: ٣٧٧/٢.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م: ٣٠٥/٥.

(٥) ينظر: تفسير المنار: ٣٧٧/٢.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. وبعد:

في خاتمة هذا المبحث ألخص أهم النتائج والمقترحات بمنا يأتي:

أولاً: النتائج:

١. إن المراد بالافتراض هو مجرد ظن باحتمال وقوع الشيء، وكل فرض فهو ينطوي على تجويز، ولا يكون هذا التجويز باطلاً إلا إذا كذبته التجربة، أو أثبت العقل تناقضه.

٢. إن الافتراض قد يكون إيجابياً صادقاً، وقد يكون سلبياً غير صادق، بغض النظر عن الجهة التي صدر منها.

٣. بعض الافتراضات دلت على سعة التفكير وعمقه، وقدرتها على الابتكار ومعالجة المشاكل الراهنة بنجاح.

٤. كان للأشخاص وللحوادث أثرهما في الافتراض وفي بلورته في صياغته.

ثانياً ـ التوصيات:

إن ميدان الافتراض في القرآن الكريم ميدان بحثي جديد، فهو بحاجة إلى مزيد من التوسع، وبالإمكان دراسة الافتراض في كل سورة أو مجموعة سور على حدة.

والله ولي التوفيق ...

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٢. البحر المحيط، أبو عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان (ت٧٥٤هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صلبيا (ت١٩٧٦م)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٤. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، مصر، ط١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٥. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٧. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٠. دستور العلماء- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدنكري (ت بعد ١١٧٣هـ) عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١١. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد أعلى بن علي الفاروقي التهانوي (توفي بعد سنة ١١٥٨هـ)، تحقيق الدكتور علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة الدكتور رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية الدكتور عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية الدكتور جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٢. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

١٣. منطق البحث العلمي- تحليل منطقي لأصول الفكر العلمي والطرق العلمية في ضوء النظريات المعاصرة، د. ياسين خليل، دار الحرية، بغداد، ط١، ١٩٧٤م.

١٤. عرائس البيان في حقائق القرآن، أبو نصر محمد بن روزبهان البقلي الشيرازي (ت٦٠٦هـ)، مطبعة العزي، الهند، ١٣١٥هـ.

١٥. روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي (ت١١٣٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، بلا تاريخ.

١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٧. الأساس في التفسير، سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام، للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٨. الدعاة والتخطيط، محمد عبد الله الخطيب، الدعاة والتخطيط، دار المنار الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٩. الرسول واليهود وجهاً لوجه، د. سعد المرصفي، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٠. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسين بن محمد القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٣. مفاتيح الغيب المعروف ب-(التفسير الكبير)، و بـ(تفسير الـرازي)، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط٣، ١٤٢٠هـ.

References:

1. Guidance of the Sound Mind to the Merits of the Holy Quran, Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad Al-Amadi (d. 982 AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, not dated.

2. Al-Bahr Al-Muhit, Abu Abdullah Athir Al-Din Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Al-Andalusi, known as Ibn Hayyan and Abu Hayyan (d. 754 AH), edited by Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.

3. The Philosophical Dictionary, Dr. Jamil Salbia (d. 1976 AD), International Book Company, Beirut, 1st ed., 1414 AH 1994 AD.

4. The Philosophical Dictionary, Arabic Language Academy, Amiri Press, Egypt, 1st ed., 1399 AH 1979 AD.

5. The Concise Dictionary, Arabic Language Academy, Cairo, 1st ed., 1998 AD.

6. Al-Mufradat fi Gharib al-Quran (Vocabulary in the strange of Quran), Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, known as al-Raghib al-Isfahani (d. 502 AH), edited by Safwan Adnan al-Dawudi, Dar al-Qalam in Damascus, and Dar al-Shamiya in Beirut, 1412 AH 1992 AD.

7. Tafsir al-Manar (Interpretation of the Holy Quran), Muhammad Rashid ibn Ali Rida al-Qalamuni al-Husayni (d. 1354 AH), Egyptian General Book Authority, Cairo, 1st ed., 1990 AD.

8. Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan, Abd al-Rahman ibn Nasser al-Saadi (d. 1376 AH), edited by Abd al-Rahman Ma'la al-Luwaihaq, Dar al-Risalah, Beirut, 1st ed., 1420 AH - 2000 AD.

9. Jami' al-Bayan (Statement collection) 'an Ta'wil Ayat al-Qur'an, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Khalid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amili al-Tabari (d. 310 AH), edited by Mahmoud Muhammad Shaker and Ahmad Muhammad Shaker, Al-Risala Foundation, Egypt, 1st ed., 1420 AH 2000 AD.

10. Dastur al-Ulama (Scientists' Constitution)- Jami' al-Ulum fi Istilahat al-Funun,

Judge Abd al-Nabi ibn Abd al-Rasul al-Ahmadankari (d. after 1173 AH), translated into Persian by Hassan Hani Fahs, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1421 AH 2000 AD.

11. Kashaf Istilahat al-Funun (Explorer of Art Terms), Muhammad A'la ibn Ali al-Faruqi al-Thanawi (d. after 1158 AH), edited by Dr. Ali Dahrouj, presented, supervised and reviewed by Dr. Rafiq al-Ajam, translation of the Persian text into Arabic by Dr. Abdullah al-Khalidi, foreign translation by Dr. George Zenani, Maktabat Lubnan Nashirun, Beirut, 1st ed., 1996 AD.

12. Lisan al-Arab (Arab Tongue), Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Mandhuor al-Afriqi al-Misri (d. 711 AH), Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 1968.

13. Logic of Scientific Research - A Logical Analysis of the Origins of Scientific Thought and Scientific Methods in Light of Contemporary Theories, Dr. Yassin Khalil, Dar al-Hurriyah, Baghdad, 1st ed., 1974.

14. Brides of Eloquence in the Facts of the Qur'an, Abu Nasr Muhammad ibn Ruzbihan al-Baqli al-Shirazi (d. 606 AH), al-Azzi Press, India, 1315 AH.

15. The Spirit of Eloquence in the Interpretation of the Qur'an, Ismail Haqi ibn Mustafa al-Hanafi al-Khalwati al-Bursawi (d. 1137 AH), Dar al-Fikr, Beirut, 1st ed., no date.

16. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Holly Qur'an and the Seven Mathani, Abu al-Fadl Shihab al-Din al-Sayyid Mahmud ibn Abdullah al-Alusi (d. 1270 AH), edited by Ali Abdul-Bari Attia, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1415 AH 1994 AD.

17. The Basis of Interpretation, Saeed Hawwa (d. 1409 AH), Dar al-Salam for Printing, Publishing, Distribution and Translation, Cairo, 1st ed., 1424 AH - 2003 AD.

18. Preachers and Planning, Muhammad Abdullah al-Khatib, Preachers and Planning, Dar al-Manar al-Hadithah, Cairo, 1st ed., 1412 AH - 1991 AD.

19. The Messenger and the Jews, Face to Face, Dr. Saad al-Marsafi, Ibn Kathir Library, Kuwait, 2nd ed., 1423 AH - 2002 AD.

20. Tafsir Muqatil bin Sulayman, Abu al-Hasan Muqatil bin Sulayman bin Bashir al-Azdi (d. 150 AH), edited by Ahmad Farid, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1424 AH - 2003 AD.

21. Gharayeb (The strange of) al-Quran wa Ragha'ib (cajole of) al-Furqan, Nizam al-Din al-Husayn bin Muhammad al-Qummi al-Nishaburi (d. 850 AH), edited by Zakaria Umayrat, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1416 AH - 1996 AD.

22. Tahrir wa al-Tanwir (Editing and Illustrating), Muhammad al-Tahir bin Ashur (d. 1393 AH), Tunisian House for Publishing, Tunis, 1404 AH - 1984 AD.

23. Mafatih al-Ghayb(Otherwildliness Keys), known as (al-Tafsir al-Kabir), and (Tafsir al-Razi), Abu Abdullah Fakhr al-Din Muhammad bin Umar bin Hussein al-Qurashi al-Tabaristani, originally Shafi'i, Razi school of thought (d. 606 AH), Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Egypt, 3rd ed., 1420 AH.